

إسهامات المدن الموحدية في الازدهار التجاري للمغرب الإسلامي

د. سي عبد القادر عمر

قسم التاريخ جامعة أوبو بكر بلقايد تلمسان

ملخص

عاش المغرب الإسلامي أثناء الحكم الموحي نوع من الأمن والاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي بفضل ما كانت تتمتع به الدولة من مقومات اقتصادية وتجارية تمثلت في شساعة المساحة و تنوع الظروف الطبيعية بين أقاليمها المختلفة وبالتالي تنوع الانتاج الزراعي ، و تنوع الثروات المعدنية مما أدى الى تنوع الانتاج الصناعي.

هذه الإمكانيات ساعدت الدولة الموحدية على ربط علاقات تجارية واسعة مع عدد من الدول المجاورة سواء مع بلاد المشرق الاسلامي أو الدول الأوروبية والسودان الغربي، وقد لعبت المدن والمراكز التجارية خاصة تلك التي تقع على الطرق التجارية البرية مثل سجلماسة وفاس ومراكش وتلمسان و تاهرت وأغمات أو تلك التي تقع على الموانئ مثل سبتة والمرية وطنجة ووهران وطرابلس وتونس وهنين دور كبير في تنشيط الحركة التجارية .

الكلمات المفتاحية: المغرب الإسلامي ، الدولة الموحدية، المدن، العلاقات التجارية، المراكز التجارية.

Summary

the contribution of Almohad cities in the commercial prosperity in the Islamic Maghreb

During the Almohad period the Islamic Maghreb enjoyed security and political stability. It experienced a flowering of commercial activity due to the economic assets that it enjoyed including a great territorial space with different environmental zones and a wide variety of agricultural and mineral resources.

With its great economic potentialities the Almohad Empire was able to form wide-ranging trade relations with neighboring states in the Mashriq, Europe, and Western Bilad al-Sudan. Both cities and commercial centers that were located along major land trade routes such as Sijilmasa, Fez, Marrakech, Tlemcen, Tahart, and Aghmat, as well as ports such as Sabta, Almeria, Tangiers, Oran, Tripoli, Tinis, and Honein, played a major role in stimulating commercial activity.

Keys Words

The Islamic Maghreb , Almohad Counry, Cities , Commercial Relations ,Commercial Centers

مقدمة

كان المغرب الإسلامي قبل القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي تحكمه الدولة المرابطية التي تعد أول جماعة مغربية تنشأ دولة كبرى ، هذه الدولة التي كان لها دور كبير في كسر الموجة الصليبية و الاحتفاظ للإسلام ما بقي له في شبه الجزيرة الإيبيرية ، ورغم ما حققته هذه الدولة من تفوق عسكري و ازدهار اقتصادي إلا أن فترة حكمها لم تدم طويلا وسقطت على يد الموحدين .

لقد تمكن أتباع ابن تومرت من إقامة دولة قوية توحدت تحت رايتها كل بلاد المغرب الإسلامي ، حيث اعتبرت فترة الحكم الموحيدي من أزهى الفترات التي مر بها المغرب ، فقد نعمت بلاد المغرب الإسلامي خلالها و على الأخص في عهد حكامها الأقوياء ، عبد المؤمن بن علي ويوسف بن عبد المؤمن ويعقوب بن المنصور بنوع من الأمن و الاستقرار والذي كان له أعظم الأثر في الازدهار الاقتصادي . إن الاستقرار السياسي و التطور الاقتصادي أدى إلى تنشيط الحركة التجارية نظرا لتوفر الدولة على كل المقومات التجارية مما مكنها من ربط علاقات تجارية واسعة مع عدد من القوى الاقتصادية الإسلامية منها و الأوروبية ، ولقد لعبت المدن الموحدية خاصة تلك التي تتمتع بموقع استراتيجي على الطرق التجارية البرية منها أو البحرية الدور البارز في تنشيط الحركة التجارية ، هذه المدن تحولت بفضل موقعها إلى مراكز تجارية هامة في بلاد المغرب الإسلامي .

ولهذا ارتأيت من خلال هذا المقال العمل على إبراز الدور الاقتصادي وخاصة الجانب التجاري للدولة الموحدية وتأثير هذا التطور على الأحداث السياسية ، مع إبراز أهمية المدن و المراكز التجارية و المسالك و الطرق في تنشيط حركة التبادل التجاري و ربط الدولة بعلاقات تجارية مع عدد من الدول الإسلامية و غير الإسلامية .

1- المقومات التجارية:

تعتبر التجارة من الوسائل الهامة في ازدهار النشاط الاقتصادي للدولة خاصة عندما استتب الأمن وعم الهدوء والاستقرار مما سهل الاتصال التجاري سواء كان على المستوى الداخلي عبر المدن أو على صعيد التجارة الخارجية. ومن أهم مقومات التجارة في فترة حكم الموحدين :

- الاتساع الجغرافي للدولة: كان لشاسعة الأرض الموحدية دور كبير في تنشيط الحركة التجارية فهي تملك ثلاثة أقاليم متنوعة لكل واحد منها أسواق مختلفة، وقد عبر المراكشي عن هذا التوسع في عهد عبد المؤمن بن علي بقوله "تملك في حياته من طرابلس الغرب إلى سوس الأقصى من بلاد المصامدة وأكثر جزيرة الأندلس وهذه مملكة لم اعلمها أنظمت لأحد قبله منذ أن احتلت دولة بني أمية إلى وقته".¹ أي التوسع الذي بلغته الدولة الموحدية لم تبلغه أي دولة قبلها في المغرب الإسلامي.

- استتباب الأمن وسهولة الاتصال بين المدن: بعد القضاء على الدولة المرابطية خاض الموحدون عدة معارك من أجل توفير الأمن وتحقيق السلم أبرزها فتح أفريقية والقضاء على الهلاليين² ثم فتح بجاية والقضاء على بني غانية³ ثم القضاء على نصارى المهديّة⁴ وبعدها قاموا بضم جل مناطق الأندلس وهكذا عم الأمن في كل أرجاء الدولة وأصبح التجار لا يخشون على تجارتهم فعم الرخاء والرفاهية خاصة في أيامها الأولى.

- توفر الإنتاج الفلاحي والمواد الأولية خاصة المعدنية منها: تعتبر المواد الأولية والإنتاج الفلاحي العناصر الأساسية للتبادل التجاري وقد عرفت الدولة الموحدية تنوعا في المنتجات الزراعية نظرا لخصوبة التربة في أغلب مناطق الدولة⁵، حيث انتشرت زراعة الحبوب والخضر و الفواكه من العنب و التين والرمان والزيتون وغيرها، كما تنوعت الثروة الحيوانية وانتشرت المراعي أما المواد الأولية فقد تنوعت بين الحديد في تمسامان بين سبتة و وهران على ساحل البحر، والكبريت بين برقة و طرابلس، والفضة والنحاس بالسوس و مكناسة الزيتون، أما بلاد الأندلس فتتوفر على الفضة والزئبق والحديد والرصاص.⁶

- كثرة الأسواق والمراكز التجارية: تعتبر الأسواق من الركائز الأساسية لازدهار التجارة وقد عرفت الدولة الموحدية انتشار العديد من الأسواق بأنواعها، الأسواق اليومية التي توجد بمعظم المدن الموحدية إلى الأسواق الأسبوعية والتي توجد عادة خارج المدن لحاجتها إلى مساحات واسعة ووجد بتونس وقرطبة بالأندلس عشرات الأسواق المختصة⁷. وقد عمل الحكام على توفير الأمن للأسواق عن طريق أمناء يسهرون على مراقبتها من أجل حماية المستهلك ومنع الغش والاحتكار بل وصل الحد إلى تخصيص قضاة سمووا بقضاة أحكام الأسواق لاتخاذ إجراءات استعجالية للحفاظ على سلامة الأسواق⁸.

2-المراكز التجارية:

لقد كان للمدن الموحدية الرئيسة دور وإسهامات كبيرة في ازدهار التجارة خاصة وأن هذه المدن تحولت إلى مراكز هامة استقطبت العديد من التجار، ومن أبرز تلك المراكز مدينة مراكش

عاصمة الدولة الموحدية والتي كانت تربط بين مدن المنطقة الغربية شمالا وجنوبا، ومما زاد في أهميتها اهتمام ولاية الأمر وخصوصا الخليفة المنصور الذي بنا بها عدة أسواق وفنادق والتي أصبحت مقصدا للعديد من التجار.⁹ أما مدينة فاس التي مثلت عاصمة الأدارسة سابقا فقد تحولت هي الأخرى إلى مركز تجاري هام خاصة وأنها تتوفر على عدة مقومات من وفرة الإنتاج الزراعي والصناعات المختلفة، وموقعها الممتاز في قلب المنطقة الغربية للدولة وزادت أهميتها في العهد الموحي خاصة أيام الناصر بعد انتشار العديد من المعامل.¹⁰ وقد ذكر الجزنائي في كتابه زهرة الآس العدد الكبير من دور الصناعة التي بلغت مائة وستة عشر ودور عمل الصابون سبعة وأربعين ودور الدباغين ستة وثمانين وكل ذلك داخل المدينة.¹¹ وبهذه الخصائص فاقت فاس مدينة مراكش في الجانب التجاري، أما مكناس فقد مثلت المدينة الثالثة من حيث الأهمية أيام الدولة الموحدية، فقد امتلأت بالأسواق العامرة وأصبحت مقصدا للمسافرين والتجار فانتشر الرخاء وكثرت الأموال، كما عرفت الدولة الموحدية ازدهار مدن أخرى وتحولها إلى مراكز هامة سواء في الجنوب كما هو الحال لمدينة سجلماسة التي تقع جنوب المغرب الأقصى بينها وبين غانا في بلاد السودان الغربي مدة شهرين¹² تميزت بكثرة البساتين والقصور والإنتاج الزراعي المتنوع وكان لها الدور البارز في تجارة التبر من السودان الغربي.

أما مدينة أغمات والتي اعتبرت همزة وصل بين الدولة الموحدية وبلاد السودان من حيث الاستيراد والتصدير فقد تحولت إلى مركز تجاري هام ودار للتجهيز للصحراء¹³، أما في المنطقة الشرقية فقد ازدهرت عدة مدن وتحولت إلى مراكز تجارية ساهمت هي الأخرى في الازدهار الاقتصادي من أبرزها نجد مدينة برقة المركز التجاري الهام الذي يستقبل التجار القادمين من المشرق أو الجنوب خاصة من إقليم الزاب¹⁴ أما طرابلس فكانت تعتبر من أهم المراكز التجارية حيث نجد أسواقها عامرة بمختلف السلع والمحاصيل الزراعية من فواكه وحبوب والصناعات المختلفة مما جعلها محط أنظار التجار من جميع الأقطار خاصة وأنها تشتمل على جميع الطرق البرية والبحرية وتميز أهلها بحسن المعاملة خاصة للغريب المهاجر إليهم¹⁵، ومن المدن التي كان لها دور كبير تجاريا جزائر بني مزغنة التي كانت تملك أسواقا كبيرة عامرة وخصوصا سوق الماشية فكانت المواشي تجلب منها إلى غيرها من المدن الموحدية كالقيروان وبلاد المغرب ونفس الشيء ينطبق على تهرت التي تمتعت بمكانة هامة عندما كانت عاصمة للدولة الرستمية وقاعدة المغرب الأوسط تعرضت للتخريب في عهد الفاطميين ثم عادت إلى مكانتها الاقتصادية في العهد الموحي، وعادت أسواقها للنشاط ومزارعها للإنتاج حتى سميت ببغداد المغرب¹⁶ هذا دون أن نغفل دور المدن الأخرى مثل تنس

وبجاية وتونس وشرشال والمهدية وغيرها أما المنطقة الأندلسية فقد تحولت بها عدة مدن إلى مراكز تجارية في العهد الموحي وساهمت هي الأخرى بقسط كبير في الازدهار التجاري رغم أن بعض المدن تأثرت بما كان يجري في الأندلس من صراعات سواء بين الإمارات الإسلامية أو مع النصارى لذلك فقد تميزت الحركة التجارية بالضعف مقارنة بالمدن في المغرب ومن ابرز المراكز التجارية نجد مدينة قرطبة التي كان لها شأن كبير في جميع المجالات السياسية والعمرانية والاقتصادية بفضل ما تمتعت به من إنتاج زراعي وصناعي وأسواق عامرة وكثرة الحمامات والفنادق¹⁷ إضافة إلى مالقة التي اشتهرت بكثرة الإنتاج الزراعي وخاصة الفواكه التي كانت تصدر إلى مناطق أخرى وقد ساعدها على ذلك موقعها ومناخها الملائمان¹⁸ أما اشبيلية والتي تقع في الجنوب الغربي للأندلس فقد اشتهرت بزراعة الزيتون والفواكه إذ تعتبر من أهم المدن إنتاجا لزيت الزيتون ومنها كان يصدر إلى بلاد المغرب والمشرق¹⁹. كما تمتعت غرناطة بنفس الخصائص من وفرة الإنتاج الزراعي والمعادن، ومن هنا نستنتج أن كل أقاليم الدولة الموحدية قد ساهمت في الازدهار التجاري والتكامل بين المراكز التجارية الهامة، خاصة وأن لكل منطقة خصائص تميزها عن غيرها، فالمنطقة الغربية تميزت بالإنتاج الفلاحي المختلف بينما المنطقة الشرقية غلب عليها الإنتاج الحيواني أما المنطقة الأندلسية فتميزت بكثرة الفواكه وبعض المعادن النادرة، وبالتالي فكانت الأقاليم الثلاث بحاجة إلى بعضها البعض.

3. طرق التعامل في التجارة الداخلية .

عرفت اسواق بلاد المغرب في القرن السادس الهجري أربعة أنواع من التعامل التجاري سواء تعلق الأمر بالتعامل بين التجار أو بين التاجر والمستهلك، ومن بين الطرق، البيع نقدا أي سلعة بنقد، ثم البيع بالحوالة على الصّرافين رغم أن بعض الفقهاء كانوا يرون أن الحوالة تدخل في مجال الربا، وقد نهى البعض عن التعامل بها، أما الطريقة الثالثة فهي المقايضة سلعة بسلعة وكانت هي الطريقة الأكثر انتشارا في بلاد المغرب، حيث كان التجار يجدون سهولة في التبادل دون الحاجة إلى الأموال، أما الطريقة الرابعة فهي السلف، وهي أكثر أنواع البيوع انتشارا، وقد كان السلف نقدا بنقد أو نقد بسلعة أو سلعة بأخرى²⁰، وقد جرت العادة على توثيق بيع السلف لذلك ازدهرت صناعة التوثيق، ولقيت هذه الطريقة استحسان التجار لأنها تساعد على تنشيط الحركة التجارية مع تحقيق أرباح كبيرة في حالة ارتفاع الأسعار.

أما الموازين والمكاييل المستعملة في هذه المرحلة فهي مختلفة من منطقة إلى أخرى بل كان البعض مقتصرًا على منطقة محدودة مثل القرصنة الإشبيلية أو الملت المراكشي، ومن الموازين الأكثر استعمالا الأوقية والرطل والقنطار والربع والعدل، ومن المكاييل المد والقلة والصحفة و

القفة ،هذا الاختلاف جعل التجار يحددون في وثائق البيع و الشراء نوع الكيل أو الوزن لتفادي المنازعات بين التجار²¹.

4- الطرق التجارية:

إن الحديث عن الازدهار التجاري ودور المدن الموحدية يقودنا حتما للحديث عن الطرق التجارية خاصة وأن الدولة الموحدية تمتعت بموقع جغرافي ممتاز وثروات زراعية وصناعية جعلت الدول المجاورة تسعى لربط علاقات تجارية معها، فتعددت الطرق التجارية و التي كانت ممرات رئيسية لهؤلاء التجار سواء البرية منها أو البحرية.

أ- الطرق البرية:

ارتبطت الدولة الموحدية مع غيرها من الدول في ميدان التجارة الخارجية وخصوصا بلاد السودان بواسطة الطرق البرية ،ومن ابرز تلك الطرق، الطريق التي تربط الدولة بالسودان عبر المنطقة الشرقية بمصر انطلاقا من تونس وطرابلس إلى الإسكندرية ومنها إلى السويس ثم الحجاز .

طريق آخر يبدأ من مصر مارا بواحة سيوة وزويلة فتادمكة فجاو ثم تنبكتو، أما عبر المنطقة الغربية فقد تعددت الطرق منها الطريق الغربي الذي يمتد من سجلماسة الى ولاته ثم إلى تنبكتو وجاو.

الطريق الذي يمتد من تلمسان إلى توات وينتهي إلى تنبكتو ،وقد تأثرت الطرق البرية نتيجة عاملين أولهما، قلة الطرق في الجهة الشرقية والصعاب المتمثلة في قسوة الطبيعة وقلة المياه خاصة في المنطقة الغربية ،وثانها وجود اللصوص وقطاع الطرق ،غير أن حزم ولادة الأمر ويقظتهم ومنعهم بشدة كل من يحاول التعرض للتجار سهل الحركة التجارية²² ،ومن هنا يتضح أن الدولة الموحدية ارتبطت ببلاد السودان وبلاد المشرق بشبكة من الطرقات البرية ساهمت إلى حد كبير في ازدهار التجارة وتدفق المؤثرات العربية الإسلامية إلى تلك المناطق خاصة السودان.

ب- الطرق البحرية:

اهتم الموحدون بالأسطول البحري منذ الوهلة الأولى حيث كان هدفه الجهاد العسكري فعبد المؤمن بن علي قد أمر بإنشاء عدد ضخم من السفن بلغ عددها الأربعمائة 400 سفينة موزعة على سواحل الدولة وعندما عم الاستقرار استخدم هذا الأسطول لأغراض تجارية وقد ساعد على ازدهار التجارة البحرية،امتلاك دولة الموحدين ساحلين احدهما يطل على البحر الأبيض المتوسط

والآخر على المحيط الأطلسي مع توفر هذين الساحلين على عدة موانئ يسرت الاتصال مع الدول المجاورة حيث كان يتم عبرها شحن البضائع المصدرة إلى الخارج واستقبال البضائع الواردة من المشرق وأوروبا وغيرها من البلدان.

ومن أهم تلك الموانئ في المنطقة الشرقية ميناء طرابلس الذي كان يربط الدولة بالإسكندرية وإيطاليا وصقلية وكذا ميناء المهديّة وتونس وسوسة وبجاية والجزائر وتونس وهنّين²³. ومن بين أهم موانئ المنطقة الغربية ميناء سبتة وميناء طنجة ثم ميناء سلا وأسفي وقد كانت الطرق البحرية أكثر استعمالاً خاصة الطريق الرابط بين طرابلس والإسكندرية وذلك لأن الطريق البري كان محفوفاً بالمخاطر. ومن هنا يتضح دور الطرق التجارية سواء البرية أو البحرية داخلية كانت أم خارجية في الازدهار التجاري في بلاد المغرب الإسلامي.

5 - العلاقات التجارية:

ارتبطت الدولة الموحدية مع العديد من الدول الأجنبية تجارياً رغم أن القرن السادس تميز بالصراع بين المسلمين والمسيحيين سواء في المشرق أو المغرب ولكن ذلك لم يمنع التعامل التجاري حتى في السلع الممنوعة أيام الحروب مثل الأسلحة والمواد التي تصنع منها كالحديد والنحاس، ومن أبرز مناطق التبادل:

1. مع المشرق الإسلامي:

شهدت العلاقات التجارية مع المشرق الإسلامي ازدهاراً واضحاً المعالم لم تعرفه البلاد منذ القديم، فقد كانت الموانئ الموحدية تستقبل السفن القادمة من مصر وبلاد الشام محملة بالبضائع خاصة وأن مصر كانت على طريق قوافل الحجاج المسافرين لتأدية فريضة الحج وعادة ما كانت هذه القوافل تضم التجار والبضائع التي تحتاجها المدن المشرقية²⁴ وقد كانت صادرات الدولة الموحدية نحو المشرق تتمثل في الجلود والفواكه كالتين واللوز والزيتون والكتان والفسقن القفصي والحبر والصوف والحديد والرصاص والزئبق و الخدم المجلوبون من أرض السودان²⁵ أما واردات الدولة الموحدية من المشرق فتمثلت في الفلفل والعسل والشمع والزيت والقطن والخزف والتوابل وبعض الأسلحة والأقمشة الحريرية²⁶، إن تنوع الصادرات والواردات تعكس بوضوح العلاقات الطيبة والترابط بين الدولة الموحدية وبلاد المشرق، ويدل كذلك على الحرية التي كان يتمتع بها التجار المشاركة داخل الدولة الموحدية فقد كان التجار يصلون إلى المدن الجنوبية مثل سجلماسة واغامت دون أن يتعرض لهم أحد.

2. مع الدول الأوروبية:

رغم الاختلاف العقائدي والحروب الكثيرة بين المسلمين والمسيحيين في أوروبا كالحروب الصليبية في المشرق وحروب الاسترداد في الأندلس، فإن العلاقات التجارية لم تتأثر خاصة بعد التطور الاقتصادي والسياسي والعسكري الذي حققته الدولة الموحدية، هذه الظروف جعلت الكثير من المدن الأوروبية تفضل التعامل معها، ومن أبرز تلك المدن جنوة التي كانت تملك ميناء هاماً كانت تخرج منه السفن إلى جميع جهات الأرض وخاصة موانئ بلاد المغرب وبالأخص وهران والمرسى الكبير وهنين²⁷ كما تعاملت مع الدولة الموحدية مدن أوروبية أخرى منها البندقية وصقلية ومرسيليا فقد كان لهذه الأخيرة فندق تجاري بسبته لراحة تجارها عند قدومهم إلى المغرب، أما صادرات الدولة الموحدية لأوروبا فتمثلت في الشمع والفواكه والسكر والتمر والزيت والجلود والصوف والمواشي، أما الواردات فتمثلت في الثياب والسلاح وبعض المنتجات الزراعية²⁸ وقد كان التعامل التجاري بين الطرفين يخضع لقوانين وعقود حيث وقع عبد المؤمن بن علي اتفاقية مع قنصل جنوة تضمنت حرية التجارة لرعايا جنوة وهذا ما جعل التعامل مع أوروبا يمتاز بالثقة المتبادلة في عمليات البيع والشراء²⁹.

إن حجم المبادلات التجارية وسعي الدول الأوروبية إلى التعامل مع المغرب الإسلامي دليل على ازدهار الاقتصاد الذي بلغته الدولة الموحدية في هذه الفترة وتمتعها بمكانة هامة لدى دول البحر المتوسط بصفة خاصة.

3. مع بلاد السودان:

لقد كان لبلاد السودان أهمية اقتصادية كبيرة ساهمت بقسط كبير في تنمية المغرب الإسلامي فهو يمتلك من المعادن الثمينة ملا يمتلكه أي بلد آخر وأبرزها الذهب فكان التجار يأخذون البضائع المختلفة من الملح والنحاس وأنواع المنسوجات ويعودون محملين بالذهب، بالإضافة إلى أن الدولة الموحدية خاصة المنطقة الغربية منها مثلت همزة وصل بين بلاد السودان والدول الأخرى. هذه الإمكانيات جعلت بلاد السودان تتحول إلى مركز تجاري هام حيث نشطت حركة القوافل منها واليها خاصة عبر سجلماسة، هذا الطريق الذي أولاه الحكام الموحدون عناية كبيرة من أجل تأمينه وتأمين وصول الذهب لأنهم كانوا بحاجة إليه لصك عملاتهم. لقد اشتهرت بلاد السودان بمجموعة من الأسواق كان للمغاربة دور في إنشائها وتنشيط الحركة التجارية بها ومن أبرز تلك الأسواق.

- أودغست: وهي من أقدم الأسواق التي أسسها بربر صنهاجة وكانت تضم أعداد كبيرة من التجار المغاربة وقد اختصت في بيع السلع النادرة مثل العنبر و الذهب الخالص³⁰.

- توات: اعتبرت من أبرز المراكز التجارية التي تقوم بتنظيم القوافل التجارية و توفير مواردها بفضل موقعها على الطريق التجاري الذي يربط السودان بالمغرب الأوسط خاصة تلمسان، وقد زاد نشاطها أكثر في عهد مملكة مالي³¹، و رغم أن العرب المسلمين كانوا يحتكرون تجارة القوافل عبر الصحراء إلا أنه وجدت جالية يهودية تشتغل بالتجارة في توات.

- تنبكتو: تقع على الأطراف الجنوبية للصحراء الكبرى على بعد اثني عشر ميلا من نهر النيجر³²، وقد ازدهرت هذه المدينة و حققت رواجاً في الحركة التجارية حيث وصلت إليها البضائع الأوروبية عن طريق التجار العرب المغاربة فقد كانت هناك أحياء خاصة لكل منطقة، مثل حي تجار توات و حي تجار غدامس³³.

- مملكة غانا: تعد من الممالك السودانية المشهورة بثرائها و كانت من أهم المراكز التجارية، وقد اشتهرت هذه السوق بتجارة الملح و الذهب حيث حقق التجار المغاربة في أسواق غانا ثراء كبير³⁴، وربما يعود هذا الثراء إلى الكميات الكبيرة من الذهب الذي يملكه البلد و الذي يبدوا أن الاندفاع إليه لم يكن قد اتخذ بعد الشكل العارم³⁵.

- جاو: و التي تقع على الضفة اليسرى لنهر النيجر وهي مدينة قديمة سكنها التجار المغاربة من عرب و بربر وقد أصبحت منذ القرن الرابع عاصمة مملكة سنغاي، و أصبحت من أشهر أسواق الرقيق و الذهب³⁶، هذه الأسواق ساهمت بشكل كبير في تنشيط الحركة التجارية و ربطت بلاد المغرب بالسودان الغربي.

كانت التعاملات تتم في معظمها بالمقايضة وذلك دون أن يتقابل الطرفين وأطلق عليها التجارة الصامتة وإن كان هذا لا يمنع من وجود تعاملات بعملات من الدراهم والدنانير كما ذكر القلقشندي³⁷، وقد تمثلت صادرات السودان نحو الدولة الموحدية في بعض السلع الرئيسية وعلى رأسها التبر أو الذهب الذي كان سبباً في ثراء الكثير من ملوك السودان الغربي³⁸ هذا إضافة إلى الرقيق الإفريقي إلى جانب بعض السلع الأخرى مثل ريش النعام والشب والعاج والجلود والفول السوداني³⁹. أما واردات السودان من الدولة الموحدية فتمثلت أساساً في الملح والنحاس والحبوب وزيت الزيتون والعسل والسكر والجلود ومواد أخرى مختلفة⁴⁰.

الخاتمة

ومن خلال هذه الدراسة يتضح لنا أنه كان للدولة الموحدية علاقات تجارية قوية مع عدد كبير من الدول سواء الأوروبية أو بلدان المشرق الإسلامي والسودان الغربي، وقد ساهم في هذا الراج مكانة المدن الموحدية والمراكز التجارية العديدة التي كانت تحتل موقع ممتاز على الطرق التجارية وبالتالي سهلت من ربط الدولة بالعالم الخارجي .

كما أن توفر الثروات المختلفة من إنتاج زراعي وصناعي وثروة حيوانية و معدنية وكثرة الأسواق جعل المنطقة تستقطب عدد كبير من التجار.

ومن العوامل التي ساهمت في الازدهار التجاري دور الحكام في توفير الأمن والاستقرار إضافة إلى الحزم والعدل الذي اتصف به معظم الحكام الموحدين وحرصهم الشديد على النهوض بالمنطقة في شتى المجالات الاقتصادية، والنزاهة في المعاملات والشؤون المالية.

إن تنوع شبكة الطرق التجارية البحرية و البرية أدى الى تنوع المبادلات و تنوع السلع خاصة النادرة منها في أسواق الدولة الموحدية، وبفضل هذه العوامل عاشت الدولة الموحدية فترات من الرخاء والازدهار الاقتصادي وأصبحت مدنها وموانئها قبلة لتجار الدول المجاورة ، ان بيئات المغرب المختلفة تمتعت في عصر الموحدين باستثناء بعض فترات الانتكاس التي تعرضت لهل الدولة بنوع من الرخاء وان الغالبية العظمى من سكان المغرب كانوا بمنأى عن الجوع و الفقر و الحرمان خاصة في عصر الحكام الأقوياء .

الهوامش:

- ¹- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي، مطبوعة الاستقامة القاهرة 1368 ط1 ص ص 193/194.
- ²- عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، طبعة بولاق ، القاهرة ، ج 6 ص 167.
- ³- عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ص 226.
- ⁴- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس، القسم الموحي تحقيق إبراهيم الكونوني وآخرون ، دار الغرب الإسلامي 1985 ج 4 ص 62.

- ⁵ - عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ص 283.
- ⁶ - نفسه ، ص 293.
- ⁷ - إبراهيم حركات ، النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط ، إفريقيا الشرق دار سيناء 1966 ص 129.
- ⁸ - موسى لقبال ، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي (نشأتها وتطورها) الشركة الوطنية للنشر الجزائر 1971 ط 1 ص 21.
- ⁹ - مقاديم عبد الحميد ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عهد الدولة الموحدية ، رسالة ماجستير كلية العلوم والحضارة الإسلامية جامعة وهران 2001/2000 ص 165.
- ¹⁰ - المراكشي ، المصدر السابق ص 290.
- ¹¹ - أبو الحسن علي الجزناني ، زهرة الأس في بناء مدينة فاس ، طبع باعتناء الفريد بل الجزائر 1992 ص 33.
- ¹² - القلقشندي أبو العباس ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، المكتبة الدينية القاهرة 1997 ج 5 ص 123.
- ¹³ - مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العراق 1968 ص 87.
- ¹⁴ - ابن حوقل أبو القاسم ، صورة الأرض ، دار صادر بيروت 1968 ج 1 ص 75.
- ¹⁵ - مجهول ، الاستبصار المصدر السابق ص 110.
- ¹⁶ - مقاديم ، المرجع السابق ص 168.
- ¹⁷ - ابن حوقل ، المصدر السابق ص 74.
- ¹⁸ - المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس دار الفكر للطباعة والنشر بيروت 1988 ط 1 ج 1 ص 152.
- ¹⁹ - المقري ، المصدر نفسه ، ج 1 ص 139 - الحميري الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، مكتبة لبنان بيروت 1975 ط 1 ص 20.
- ²⁰ - عز الدين موسى ، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري ، ج 1 دار الشروق القاهرة 1983 م ، ص 295.
- ²¹ - ابن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافيا ، تح إسماعيل العربي دار المشورات للمطبوعات الجامعية الجزائر ط 2 1982 ، ص 109.

- ²² - مقاديم، المرجع السابق ، ص 177.
- ²³ - عز الدين احمد موسى، المرجع السابق ص 310.
- ²⁴ - مقاديم، المرجع السابق ص 173- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، مكتبة الفاتحين القاهرة 1980 ط 1 ص 67.
- ²⁵ - ابن حوقل، المصدر السابق ص 97.
- ²⁶ - ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا ، المصدر السابق ، ص 154.
- ²⁷ - حسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي بيروت 1983 ج 2 ص 15.
- ²⁸ - مبارك الملي، تاريخ الجزائر القديم والحديث ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1976 ص 332.
- ²⁹ - إبراهيم، حركات المرجع السابق ص 333.
- ³⁰ - الفلقشندى ، المصدر السابق ج 5 ص 177.
- ³¹ - حسن الوزان ، المصدر السابق ج 2 ص 166.
- ³² -- البكري ابو عبد الله ، المغرب في ذكر إفريقيا و بلاد المغرب من كتاب المسالك و الممالك ، دار الكتاب الإسلامي القاهرة ص 164 .
- ³³ - ابن خلدون ، المصدر السابق ج 6 ص 118 .
- ³⁴ - اسماعيل العربي ، الصحراء الكبرى و شواطئها ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1983 ص 24.
- ³⁵ - عبد القادر زبادية ، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ، ص 102 .
- ³⁶ - البكري ، المصدر السابق ، ص 175 .
- ³⁷ - اسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 284 .
- ³⁸ - ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 255، عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص 108 .
- ³⁹ - الهادي مبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء الدار المصرية اللبنانية القاهرة 1999 ص 17.
- ⁴⁰ - ابن بطوطة أبو عبد الله ، رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار التراث بيروت ص 441- البكري أبو عبيد الله ، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا وبلاد المغرب من كتاب المسالك والممالك دار الكتاب الإسلامي القاهرة ص 173.